الفتنة الكبرى

تحمل كلمة فتنة في اللغة عدة معاني، منها: الابتلاء والامتحان والاختبار والمحنة. وتحمل معنى الإعجاب والوله، فيقال "فَتنتْه المرأة إذا ولّهته وأحبها". وتحمل معنى الضلال والإثم، والفاتن المضل عن الحق. والفاتن: الشيطان لأنه يضل العباد، ويفتن الناس عن الدين. وتحمل معنى ما يقع بين الناس من القتال، وجاءت أيضا بمعنى الحرق، فكل ما غيرته النار عن حاله فهو مفتون ... وغيرها من المعاني الكثيرة التي تحملها هذه الكلمة.[1]

أما في الاصطلاح، فيقصد بها الاضطرابات والتوترات التي اندلعت في أواخر عهد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ من بعض المستائين والناقمين على سياسته الذين طالبوا بعزله، وانتهت تلك الأحداث بقتله سنة 35هـ. واستمر الخلاف بين الصحابة حول مسألة الخلافة، وتطور الخلاف إلى حرب أهلية بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، أدت إلى قتل علي بن أبي طالب ﷺ من طرف رجل من الخوارج.

مقتل عمر بن الخطاب ومبايعة عثمان بن عفان ﷺ

قُتل عمر بن الخطاب ﷺ سنة 23 هـ، على يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي، مولى المغيرة بن شعبة، فطعنه ثلاث طعنات بخنجر ذي رأسين، وهو يستعد لأداء صلاة الصبح، فماج الناس، وأخذ فيروز يجول ويركض في المسجد فجرح ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة.[2] فأخذ عبد الرحمن بن عوف برنسا رماه عليه وقبضه، فلما رأى الملعون أنه قد أُخِذَ قتل نفسه. أما عمر بن الخطاب فقد حُمل إلى منزله وتوفي بعد يوم وليلة، ولم يوص لأحد بالخلافة بعده.[3] ولكن قبيل وفاته رشح ستة من الصحابة

---

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، دار صادر، بيروت، (د ت)، مج 13، ص 317-321.

[2] ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ))، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، (د ت)، ج1، ص 39.

[3] الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (ت 748هـ))، دول الإسلام، حققه، حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، 1999. ج 1، ص 14.

وجعلها شورى بينهم، على أن يعينوا واحدا منهم في ظرف ثلاثة أيام. وهؤلاء الستة هم، عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.[1]

ويذكر الطبري عدة روايات تدل أن عملية اختيار الخليفة بعد وفاة عمر بن الخطاب شهدت تنافسا بين هؤلاء المرشحين، واشتد التنافس بين علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ﵁. وفي بعض الروايات أن عليا احتج على تحيز عبد الرحمن بن عوف لعثمان. وبعد نقاش، وأخذ ورد، في الكلام وطرح الآراء بين الصحابة في المسجد، بايع الناس عثمان بن عفان حتى غشوه عند المنبر.[2] ويذكر ابن كثير أن عليا كان أول من بايع عثمان بالخلافة من أهل الشورى، ويستبعد الروايات التي قيلت في احتجاج علي بن أبي طالب على مبايعة عثمان بن عفان، ويعتبرها مردودة على قائليها وناقليها من الشيعة وأغبياء القصاص.[3]

وبعض الباحثين يعتبرون أن هذا التنافس لم يكن بين علي وعثمان فقط، بل كان بين بني هاشم وبني أمية، الذين تعاقب خطباؤهم[4] على المنبر يوم المبايعة.[5] ويبدو من خلال الأحداث السابقة، أن بعض بوادر الانقسام بين المسلمين، وبداية تشكل الأحزاب السياسية، قد بدأت في أوائل عهد عثمان بن عفان ﵁.[6]

ومن العوامل التي ساعدت على مبايعة عثمان بن عفان:

1. سابقته في الإسلام

---

[1] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 42

[2] ابن جرير الطبري (أبو جعفر محمد (ت 310هـ))، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987. مج 2، ص 580-587.

[3] ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل (ت 774 هـ))، البداية والنهاية، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007. مج 4، ج 7، ص 200.

[4] أنظر النقاش والكلام الذي قيل بين بني هاشم وبني أمية يوم المبايعة في: ابن جرير الطبري، مصدر سابق، مج 2، ص 583؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630 هـ))، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ج 3، ص 35-39.

[5] جعيط هشام، الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000. ص 58.

[6] حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط 14، دار الجيل، بيروت، 1996. ج 1، ص 209.

2. صاهر النبي ﷺ مرتين من ابنتيه رقية ثم أم كلثوم.

3. هجرته الأولى إلى الحبشة.[1]

4. كانت الأكثرية تريده خليفة.[2]

5. ضرورة حسم الأمر في أمر الخليفة قبل أن يفتتن الناس.[3]

الفتنة التي أدت إلى قتل عثمان

تولى عثمان بن عفان ﵁ الخلافة وهو في السبعين من عمره، أو تجاوزها قليلا، ودامت خلافته اثنا عشر سنة، تقسم إلى قسمين مدة كل منهما ست سنوات، الفترة الأولى هادئة، ساكنة ومرضية والثانية مضطربة ومتوترة، وهي التي أدت إلى مقتله سنة 35 هـ.[4] وكانت الدولة الإسلامية في عهده قد اتسعت وبلغت حدودا مترامية الأطراف، وتدفقت عليها الأموال والثروات من كل حدب وصوب، وغدا بيت المال يغص بالمال بعد عشر سنوات من الفتح المتواصل.[5] وتفتحت أعين الفاتحين على بيئات حضارية جديدة لم يشهدوها من قبل، وانتقل المسلمون من معيشة البساطة والزهد إلى معيشة الغنى، فهموا بالخروج عن بداوتهم والاستمتاع بالأموال المتدفقة، وبما أتت به الحياة الحضارية من ألوان الترف المباح الذي لا يتعارض مع الإسلام، فتأنقوا في مأكلهم ومشربهم وفي ملبسهم ومسكنهم. وكان عثمان في غاية الجود والكرم "جوادا وصولا بالأموال"،[6] باذلا للقريب والبعيد.[7] ولم يكن ذلك مألوفا في عهد عمر بن الخطاب الذي "فتح الفتوحات وكثر المال في دولته"،[8] ورغم ذلك فقد كان حريصا

---

[1] سالم السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1973. ص 271.

[2] جعيط هشام، مرجع سابق، 59.

[3] أبو جرير الطبري، مصدر سابق، مج 2، ص 583

[4] جعيط هشام، مرجع سابق، 60.

[5] جعيط هشام، مرجع سابق، 60.

[6] اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883. ج 2، ص 201.

[7] سالم السيد، مرجع سابق، ص 272، 274؛ جعيط هشام، مرجع سابق، ص 60.

[8] الذهبي، مصدر سابق، ص 17.

على أن يلتزم المسلمون بعد الفتوحات حياتهم الأولى القائمة على الخشونة والتقشف والزهد خشية أن تجرفهم حياة الترف في المدن المفتوحة في تيارها.[1] حتى أنه مات فقيرا وسط ركام هائل من الثروات.[2]

وترتب عن هذه السياسة التي اتبعها عثمان بن عفان ﵁ أن "اتسعت الدنيا على الصحابة ... وكانت المدينة عامرة كثيرة الخيرات والأموال والناس، يجبى إليها خراج الممالك، ... فبطر الناس بكثرة الأموال والخيل والنعم، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا".[3] بينما كانت هناك طبقة فقيرة معدمة من المحاربين استقرت في الأمصار بعد الفتح، كانت مستاءة ومعارضة لهذه الطريقة في توزيع الثروة. وكانت ترى أن وارد الأراضي التي فتحوها هو حقها الطبيعي ويجب أن يصرف عليها لا أن يرسل إلى بيت المال في المدينة المنورة.[4] وظهرت بعض الشخصيات تحذر من أخطار تكديس الثروات مع وجود جماعات من الفقراء، وتدعو إلى البساطة الإسلامية وإلى التسوية والعدالة.[5] وينبن من هذا أن حال المجتمع الإسلامي قد تغير تماما في عهد عثمان بن عفان، وان هذا التغير أثار روح المعارضة لسياسة الحكومة والاستياء من تصرفاتها، وبعث على التمرد عليها، ووفر جواً ملائما ومهيئاً لقبول بعض الدعوات والأفكار التي راجت في الأمصار، وهي تنكر على عثمان وتنتقد سماحه لكبار الصحابة بالإثراء وبناء القصور.[6] وقد أنكر الناس على عثمان جملة أشياء لخصها الذهبي في قوله: "ثم أخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان لكونه يعطي المال لأقلربه، ويوليهم الولايات الجليلة، فتكلموا فيه، وكان قد صار له أموال عظيمة –رضي الله عنه– وله ألف مملوك، وآل بهم الأمر إلى أن قالوا: هذا لا يصلح

---

[1] سالم السيد، مرجع سابق، ص 273.

[2] جعيط هشام، مرجع سابق، 55.

[3] الذهبي، مصدر سابق، ص 23.

[4] الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ الإسلام، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007. ص 89.

[5] الدوري عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007. ص 18.

[6] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 50.

للخلافة وهموا بعزله".[1] إضافة إلى تهم أخرى وردت في المصادر يطول الحديث عنها.[2] والحقيقة أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ تصرف كخليفة مجتهد في أمور الدولة والسياسة، فلا شيء يلزمه باتباع طريقة من سبقه في تسيير دواليب الدولة، مثل أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب، وله مبرراته الخاصة التي دعته لاتخاذ بعض القرارات والإجراءات التي اجتهد فيها وكان يرى أنها ضرورية في عهده الذي شهد تدفق الأموال وتوسع الفتوحات واعتناق الإسلام من طرف شعوب وقوميات متعددة.[3]

وفي سنة 35 هـ، التي تمثل مأساة في تاريخ صدر الإسلام، حيث خرجت جماعة من المنحرفين الثوار على عثمان من مصر والكوفة والبصرة إلى المدينة تطالبه بالإصلاح. وكان عبد الله بن سبأ اليهودي الذي اعتنق الإسلام نفاقا، قد نجح في تأليب الأمصار على عثمان مستهدفا إشعال نار الفتنة بين المسلمين.[4] وزعم هؤلاء الوافدون إلى المدينة أنهم يريدون أداء العمرة حتى لا يستعد الخليفة لردهم. وكان هذا التصرف في حد ذاته يعني تدخلا صريحا من الأمصار في أمور السياسة العليا للدولة، واجتراء على هيبة الخلافة.[5] ولما نزلوا المدينة حاصروها ولزم أهلها بيوتهم، ثم توسط علي بن أبي طالب بين عثمان ووفد مصر، وأخبرهم بأن عثمان قد تاب، فسأله أهل مصر أن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح من ولاية مصر ويعين مكانه محمد بن أبي بكر الصديق، فأبلغ عثمان بذلك، وأقنعه به، فكتب عهده وولاه، فسلك المصريون طريق العودة ومعهم ثلاثون نفرا من المهاجرين والأنصار للنظر فيما يمكن أن يحدث.[6]

---

[1] الذهبي، مصدر سابق، ص 23.

[2] أنظر: ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 50 وما بعدها؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ص 202 وما بعدها؛ ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 35 وما بعدها.

[3] انظر رد عثمان بن عفان على التهم الموجهة إليه في: ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 35 وما بعدها؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص 219 وما بعدها.

[4] حول حركة عبد الله بن سبأ انظر: حسن حسن إبراهيم، مرجع سابق، ص 293-296.

[5] سالم السيد، مرجع سابق، ص 283.

[6] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 55.

ثم حدث أن عاد هذا الوفد من طريقه حانقا على الخليفة، والسبب أنهم لما كان في عائدا إلى مصر، لاحظوا غلاما أسوداً على بعير يخبطه كما لو كان يريد الفرار، فأمسكوه ووجدوا عنده كتابا صادرا من عثمان إلى عبد الله بن سعد، مكتوبا به: "إذا أتاك محمد بن أي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي".[1] فانزعج الوفد وعاد إلى المدينة، وقرأوا الكتاب في محضر الصحابة، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا وقد حنق على عثمان، ومضى علي إلى عثمان ومعه الكتاب، فأقسم بالله أنه ما كتبه قط ولا علم له به.[2] (فمن كتب الكتاب؟!).

ورغم ذلك حاصر المتمردون بيت عثمان بن عفان مع وفدي العراق، ومنعوا عنه الماء، والصلاة في مسجد الرسول ﷺ. ولما علموا أن مدداً قادم من الشام لنجدة الخليفة، وأن حجاج بيت الله الذين قدموا من أطراف الجزيرة يريدون قصدهم والدفاع عن الخليفة، عزموا على حسم الأمر بقتله، فوجدوا عند الباب مقاومة عنيفة من أبناء الصحابة، وتمكنوا في الأخير من الدخول إلى البيت وقتلوه بطريقة بشعة، ثم نهبوا بيته وبيت المال.[3] ولم يدركوا أنهم أحدثوا جرحا في قلب الإسلام.

وقد ترتب عن هذا الحدث الخطير في تاريخ الإسلام الأولي، عواقب لا تعد ولا تحصى، ومنه بدأ انشقاق وانقسام الأمة واندلاع الحرب الأهلية تمخض عنها عدة أحزاب سياسية تحولت وفقا لتحول تاريخ الإسلام الأولي إلى قناعات دينية.[4]

المحاضرة السادسة

الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وقيام الدولة الأموية.

[1] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 56.

[2] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 59؛ ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 666.

[3] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 296؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ص 676.

[4] جعيط هشام، مرجع سابق، ص 119.

وكان لابد للمسلمين من اختيار خلف لعثمان، فأتوا عليا في داره ودعوه ليتلقى بيعتهم، فأبى إلا أن يكون الأمر بعد الشورى، فانصرف القوم، ولكن الظروف خطيرة ومضطربة، ولا يمكن للدولة الإسلامية أن تستمر بدون خليفة يحظى بالقبول من طرف غالبية المسلمين. فلم يلبثوا أن عادوا إليه، لأن اسمه يفرض نفسه، وألحوا حتى أقنعه الأشتر النخعي، فقبل وبايعه ثم بايعه عامة الناس، وبايعه بعض الصحابة بعد تلكأ ومماطلة، ورفض بعضهم مبايعته.[1] وقد وجد علي بن أبي طالب ﷺ، صعوبة في السيطرة على الوضع بعد استشهاد سيدنا عثمان ﷺ. وأول مشكلة واجهته هي قتلة عثمان، حيث انقسم الصحابة إلى ثلاث فئات:[2]

<u>الأولى:</u> طالبت من الخليفة الجديد بالإسراع في الاقتصاص من هؤلاء القتلة، وعلى رأسها الصحابيان طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام. وطلبا من علي أن يعينهما واليين ليجمعا له الجنود والمحاربون، فلم يستجب لهما، فالتحقا بمكة المكرمة، واستنفرا الناس وجمعوهم للمطالبة بدم الخليفة الشهيد المقتول ظلما وعدوانا.

<u>الثانية:</u> طالبت عليا بالاقتصاص من هؤلاء القتلة، وجعلته شرطا لمبايعته، وهذه الطائفة هم أهل الشام وفي مقدمتها: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والنعمان بن بشير.

<u>الثالثة:</u> وافقت هؤلاء في ضرورة الاقتصاص من قتلة عثمان، لكنها كانت ترى ضرورة تأخيره حتى تتهيأ الظروف لتنفيذه. ويمثل هذه الطائفة علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعمار بن ياسر، والحسن والحسين.

وبما أن عليا هو الخليفة، فإنه أصر على موقفه في تأجيل القصاص، وعزم على استخدام القوة تجاه من خالفه ولم يبايعه من الطائفتين السابقتين. وأعلن لجنده أن قراره هذا هو مجرد اجتهاد شخصي

---

[1] ابن كثير، مصدر سابق، ص 266.

[2] علال خالد كبير، الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى، دار البلاغ، الجزائر، 2003. ص 6.

ورأي رآه أنه يحقق الطاعة ووحدة الجماعة. ولم يدَّعِ أن معه نصوصا سمعها من رسول الله ﷺ.[1] فهذا التباين في وجهات النظر والإصرار على المواقف هما اللذان جرا الطوائف الثلاث إلى الاقتتال.

خروج طلحة والزبير وعائشة –موقعة الجمل

وقعت هذه المعركة بين الخليفة علي بن أبي طالب من جهة، والصاحبيان طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين من جهة ثانية، في الخريبة بضواحي البصرة، بتاريخ 10 جمادى الثانية 36هـ/04 ديسمبر 656م،[2] وهي أول معركة بين المسلمين. وتفصيل الأمر أن علي بن أبي طالب نصح المطالبين بالاقتصاص لعثمان أن يتريثوا حتى تهدأ النفوس، ويعود الأمن إلى نصابه، ثم يجري الحق مجراه ويتمكن من إنزال الجزاء بقتلة عثمان. غير أن نصائحه لم تجد آذانا صاغية. وكانت عائشة آنذاك في طريق عودتها من مكة إلى المدينة بعد أن أدت الحج والعمرة، فبلغها مقتل الخليفة عثمان بن عفان وأن الناس بايعوا عليا.[3] فساءها قتل عثمان. ثم التحق طلحة والزبير بمكة، وراحوا يحركون الناس، في مكة وفي البصرة،[4] ويدعون لطلب الثأر من قتلة عثمان، ولم يصغوا لنصح الناصحين، وتمكنوا من تعبئة حوالي ثلاثين ألف مقاتل.[5]

وكان علي بن أبي طالب في طريقه إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان قبل أن يستفحل أمره، فوصله الخبر أن طلحة والزبير نكثا بيعتهما له وانضمت إليهما عائشة، وأنهم خرجوا في جموع كثيفة نحو البصرة، فاضطر علي إلى تغيير وجهته إلى الكوفة لدعوة أهلها إلى نصرته،[6] وبلغ عدد من التحق به من المهاجرين والأنصار وأهل الكوفة ... حوالي عشرون ألفا. ومن الكوفة سار علي بجيشه إلى البصرة حيث التقى الجيشان في مكان يقال له الخريبة.

---

[1] خالد علال كبير، مرجع سابق، ص 7.

[2] هذا التاريخ الراجح، ويوجد اختلاف بين المحققين حول تاريخ اندلاع المعركة.

[3] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج 3، ص 6.

[4] ابن كثير، مصدر سابق، ص 269.

[5] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 123.

[6] ابن كثير، مصدر سابق، ص 272.

والحقيقة أن عليا عزَّ عليه أن يقاتل المسلمون بعضهم بعضا، فأقام ثلاثة أيام ورسله تتردد على أهل البصرة يدعوهم للرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، ثم تحدث مع طلحة ومع الزبير، وذكرهما أنهم أخوة في الإسلام يحرمان دمه ويحرم دمهما ... ولما فشلت كل السبل لتجنب الحرب، وقع الاشتباك، وكانت المعركة عنيفة في بدايتها، ولكنها انتهت سريعا في يوم واحد بهزيمة الحلفاء الثلاثة،[1] وبلغ عدد القتلى نحو عشرة آلاف، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة ولم يكن في الفريقين من الصحابة إلا قليل.[2]

معركة صفين سنة 37 هـ

تمكن معاوية بن أبي سفيان في الشام من تأليب الناس وتحريضهم للمطالبة بدم عثمان، كما امتنع عن مبايعة علي بن أبي طالب، وطلب منهم أن يبايعوه أميرا للمؤمنين، أو خليفة، فأجابه الكثير. ثم أرسل إلى علي يخبره أن أهل الشام قد بايعوه خليفة وهم لا يجيبون عليا إلى البيعة.[3]

وكان جيش علي في طريقه من العراق إلى الشام، فتوقف في صِفِّين (قرب الرقة على شاطئ الفرات في سوريا)، فعزم معاوية على السير إلى صفين، والتقى الجيشان هناك في شهر محرم، وبقيا مدة أسبوعين دون قتال. وتحرك الرسل بينهما طمعا في الصلح، ولما طالت المدة ظن الناس أن الصلح وشيك.[4] ولما انتهى شهر محرم استعد الفريقان للقتال، وتم الاشتباك في أول صفر، ودامت المعركة عشرة أيام، وفي اليوم العاشر رجحت كفة علي وأوشكت قواته على سحق قوات معاوية، "فانقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلا الهزيمة والكسر والفرار".[5] ولما رأى هذا الأخير أن قواته تتراجع

---

[1] سالم السيد، مرجع سابق، ص 305.
[2] ابن كثير، مصدر سابق، ص 282.
[3] ابن قتيبة، مصدر سابق، ص 100، 123.
[4] ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ص 79.
[5] ابن كثير، مصدر سابق، ص 302.

وتكاد أن تنهزم، أمر عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح والمطالبة بتحكيم كتاب الله بين معاوية وعلي.[1]

واحتدم النقاش في معسكر علي بن أبي طالب بين آخذ بالتحكيم ومعارض له.[2] وكان علي ب، ابي طالب من المعارضين للتحكيم، وأدرك أنها خدعة، فحذر أصحابه وقال لهم: "أن معاوية وعمرو ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم" وقد رفعوا المصاحف خديعة ودهاء ومكرا، وحثهم على مواصلة القتال. ولكن نفرا من رجاله، هددوه إما أن يجيب إلى كتاب الله إذا دُعِي إليه أو يفعلوا به كما فعلوا بابن عفان، وعز على علي أن يخيره أتباعه بين الأمرين، فتركهم أحرارا في اختيار أحد أمرين: إما طاعة ومواصلة القتال، وإما عصيان فيفعلوا كما شاء لهم أن يفعلوا، فاختاروا التحكيم.[3] ثم وقع اختيارهم على أبي موسى الأشعري وعين معاوية بن أبي سفيان من جهته عمرو بن العاص ممثلا لأهل الشام في التحكيم.[4]

وترتب عن قبول التحكيم أن تضعضعت قوات العراق التي كانت مع علي بن أبي طالب، حيث خرج جماعة منهم ورفضوا التحكيم، قائلين: "لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله"، فقال لهم علي: "كلمة حق أريد بها باطل". ثم انشقوا على علي واستقروا في حروراء (قرب الكوفة)، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالخوارج. وانشغل علي بمحاربتهم، فاشتبك معهم في النهروان (قرب بغداد) سنة 38 هـ، وقتل الكثير من زعمائهم.[5] ولما اجتمع الحكمين خُدِع أبا موسى الأشعري من طرف عمرو بن العاص.

ثم اتفق ثلاثة من الخوارج بعد وقعة النهروان بأشهر على قتل علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، في ليلة واحدة، ففشل اثنان ونجح واحد هو عبد الرحمن بن ملجم

---

[1] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 219.
[2] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 220.
[3] ابن كثير، مصدر سابق، ص 303.
[4] ابن الأثير، مصدر سابق، ص161-162.
[5] ابن الأثير، مصدر سابق، ص165-166.

المرادي، حيث ترصد عليا وهو ذاهب إلى المسجد ليؤدي صلاة الفجر، فضربه بخنجر مسموم، مما أدى إلى وفاته في السابع عشر من شهر رمضان سنة 40 هـ.[1]

ثم بايع الناس ابنه الحسن واشترط عليهم أن يبايعوه على مسالمة من يسالم ومحاربة من يحارب[2] وفي نيته إقامة الصلح. ثم التقى بمعاوية وتنازل له عن الخلافة سنة 41 هـ.[3] وكانت مدة حكمه ستة أشهر، وسمي هذا العام بعام الجماعة. وبذلك انتهى الصراع لصالح الأمويين وبدأ عهد جديد من عهود الحكم في الدولة الإسلامية.

وترتب عن الفتنة الكبرى، انقسام المسلمين إلى أحزاب وهي:

1. الهاشمية: وهم أنصار علي بن أبي طالب والحسن والحسين، ويعرفون في التاريخ باسم الشيعة.
2. العثمانية: وهم بنو أمية الذين أسسوا الدولة الأموية.
3. الخوارج: وهم الذين رفضوا التحكيم وخلافة علي ومعاوية.
4. المرجئة: وهم الذين قالوا بترك الحكم لله يوم الحساب، وعدم إدانة أي مسلم، وهم أساس فرقة المعتزلة التي ستظهر في أواخر عصر الدولة الأموية.

---

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ص 194.

[2] سالم السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص 321.

[3] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 255-256؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص 61-65.